كِتَابُ الْجَامِعَةِ

كل شيء بلا معنى

١

١كَلامُ الْحَكِيمِ ابْنِ دَاوُدَ مَلِكِ الْقُدْسِ. ٢يَقُولُ الْحَكِيمُ: "بِلا مَعْنَى أَبَدًا! بِلا مَعْنَى أَبَدًا! الْكُلُّ بِلا مَعْنَى!" ٣مَاذَا يَسْتَفِيدُ الإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟ ٤جِيلٌ يَرُوحُ وَجِيلٌ يَجِيءُ، وَالأَرْضُ مَوْجُودَةٌ إِلَى الأَبَدِ. ٥الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ، ثُمَّ تُسْرِعُ إِلَى مَكَانِهَا الَّذِي تَطْلُعُ مِنْهُ. ٦الرِّيحُ تَذْهَبُ إِلَى الْجَنُوبِ، وَتَدُورُ إِلَى الشَّمَالِ، وَتَدُورُ وَتَدُورُ ثُمَّ تَرْجِعُ لِلدَّوَرَانِ مَرَّةً أُخْرَى. ٧كُلُّ الأَنْهَارِ تَصُبُّ فِي الْبَحْرِ، وَالْبَحْرُ لا يَمْتَلِئُ. ثُمَّ يَرْجِعُ الْمَاءُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَرَتْ مِنْهُ الأَنْهَارُ. ٨كلُّ شَيءٍ مُتْعِبٌ وَلا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَشْرَحَهُ. الْعَيْنُ لا تَشْبَعُ مِنَ النَّظَرِ، وَالأُذُنُ لا تَمْتَلِئُ مِنَ السَّمْعِ. ٩مَا حَدَثَ فِي الْمَاضِي يَعُودُ يَحْدُثُ، وَمَا صُنِعَ فِي الْمَاضِي يَعُودُ يُصْنَعُ، لا جَدِيدَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. ١٠لا يُوجَدُ شَيْءٌ يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ عَنْهُ: "انْظُرْ، هَذَا جَدِيدٌ." بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ، مُنْذُ الْعُصُورِ الَّتِي قَبْلَنَا. ١١لا أَحَدَ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ سَبَقُونَا، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَنَا لَنْ يَتَذَكَّرَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ.

عرض المشكلة

١٢أَنَا الْحَكِيمُ كُنْتُ مَلِكًا فِي الْقُدْسِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٣وَكَرَّسْتُ نَفْسِي لِلدَّرْسِ وَالْبَحْثِ، بِوَاسِطَةِ الْحِكْمَةِ، عَنْ كُلِّ مَا عُمِلَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. إِنَّهَا مَأْمُورِيَّةٌ شَاقَّةٌ أَعْطَاهَا اللهُ لِبَنِي آدَمَ لِيَشْغَلَهُمْ بِهَا. ١٤رَأَيْتُ كُلَّ شَيءٍ عُمِلَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَإِذَا الْكُلُّ بِلا مَعْنَى وَكَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ. ١٥الأَعْوَجُ لا يُمْكِنُ أَنْ تُقَوِّمَهُ، وَغَيْرُ الْمَوْجُودِ لا يُمْكِنُ أَنْ تَحْسِبَهُ. ١٦فَقُلْتُ فِي قَلْبِي: "صِرْتُ عَظِيمًا، وَزَادَتْ حِكْمَتِي أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الَّذِينَ حَكَمُوا الْقُدْسَ قَبْلِي وَاخْتَبَرْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ." ١٧وَرَكَّزْتُ اهْتِمَامِي عَلَى مَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ، وَأَيْضًا مَعْرِفَةِ الْغَبَاءِ وَالْجَهْلِ. فَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا أَيْضًا كَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ. ١٨لأَنَّ فِي كَثْرَةِ الْحِكْمَةِ كَثْرَةَ الْغَمِّ، وَمَنْ زَادَ عِلْمًا زَادَ حُزْنًا.

الملذات بلا معنى

٢

١ثُمَّ قُلْتُ فِي قَلْبِي: "أُجَرِّبُ اللَّذَّةَ، وَأُمَتِّعُ نَفْسِي." فَوَجَدْتُ هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى. ٢وَقُلْتُ: "الضِّحْكَ غَبَاءٌ وَاللَّذَّةُ بِلا فَائِدَةٍ" ٣وَمَعَ أَنِّي لَمْ أَتْرُكَ الْحِكْمَةَ، حَاوَلْتُ أَنْ أُطْرِبَ نَفْسِي بِالْخَمْرِ، وَجَرَّبْتُ أَشْيَاءَ غَبِيَّةً، وَكَانَ قَصْدِي هُوَ أَنْ أَرَى مَا هُوَ نَافِعٌ لِلنَّاسِ لِيَعْمَلُوهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْنَاءَ حَيَاتِهِمْ.

٤فَقُمْتُ بِأَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ: بَنَيْتُ لِي بُيُوتًا وَغَرَسْتُ لِي كُرُومًا. ٥أَنْشَأْتُ لِي جَنَائِنَ وَبَسَاتِينَ، وَغَرَسْتُ فِيهَا أَشْجَارَ فَاكِهَةٍ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. ٦صَنَعْتُ لِي بِرَكَ مَاءٍ لأَسْقِيَ الأَشْجَارَ النَّامِيَةَ. ٧اشْتَرَيْتُ عَبِيدًا وَجَوَارِيَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْعَبِيدِ الْمَوْلُودِينَ فِي دَارِي. حَصَلْتُ عَلَى بَقَرٍ وَغَنَمٍ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْقُدْسِ قَبْلِي. ٨جَمَعْتُ لِي فِضَّةً وَذَهَبًا وَكُنُوزًا مِنْ مُلُوكٍ وَمِنْ دُوَلٍ. وَاتَّخَذْتُ مُغَنِّينَ وَمُغَنِّيَاتٍ، وَزَوْجَةً وَسَرَارِيَّ، وَكُلَّ مَا يَنْعَمُ بِهِ الْبَشَرُ.

٩فَصِرْتُ عَظِيمًا أَكْثَرَ جِدًّا مِنْ كُلِّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْقُدْسِ قَبْلِي. وَفِي كُلِّ هَذَا بَقِيَتْ حِكْمَتِي مَعِي. ١٠وَلَمْ أَحْرِمْ نَفْسِي مِنْ شَيْءٍ اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ، وَلَمْ أَمْنَعْ عَنْ قَلْبِي أَيَّ لَذَّةٍ، بَلْ فَرِحَ قَلْبِي بِكُلِّ تَعَبِي، وَكَانَ هَذَا مُكَافَأَتِي عَلَى كُلِّ تَعَبِي. ١١فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ كُلَّ مَا عَمِلَتْهُ يَدَايَ، وَالتَّعَبَ الَّذِي تَعِبْتُهُ لِعَمَلِ هَذَا، وَجَدْتُ أَنَّ الْكُلَّ بِلا مَعْنَى وَكَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ وَلا فَائِدَةَ مِنْ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

الحكمة بلا معنى

١٢ثُمَّ اتَّجَهْتُ لأُفَكِّرَ فِي الْحِكْمَةِ وَالأَعْمَالِ الْجُنُونِيَّةِ وَالْغَبَاءِ. وَقُلْتُ: "مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْمَلَ الْمَلِكُ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلْتُهُ؟" ١٣فَوَجَدْتُ أَنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْغَبَاءِ، كَمَا أَنَّ النُّورَ أَفْضَلُ مِنَ الظَّلامِ. ١٤الْحَكِيمُ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ، وَالْجَاهِلُ يَسِيرُ فِي الظَّلامِ، لَكِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ مَصِيرَهُمَا وَاحِدٌ. ١٥فَقُلْتُ فِي قَلْبِي: "مَصِيرِي أَنَا وَالْجَاهِلُ وَاحِدٌ! فَمَا الْفَائِدَةُ مِنْ حِكْمَتِي؟" وَقُلْتُ فِي قَلْبِي: "هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى." ١٦فَإِنَّ الْحَكِيمَ كَالْجَاهِلِ، لا يَدُومُ ذِكْرُهُمَا إِلَى الأَبَدِ، وَفِي الأَيَّامِ الآتِيَةِ كِلاهُمَا يُنْسَى. وَيَا لِلأَسَفِ، كَيْفَ يَمُوتُ الْحَكِيمُ؟ كَالْجَاهِلِ!

١٧فَكَرِهْتُ الْحَيَاةَ لأَنَّ مَا يُعْمَلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا رَدِيءٌ فِي نَظَرِي، وَكُلُّهُ بِلا مَعْنَى وَكَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ.

١٨وَكَرِهْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ الَّتِي تَعِبْتُ فِيهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لأَنِّي سَأَتْرُكُهَا لِمَنْ يَأْتِي بَعْدِي. ١٩وَمَنْ يَعْلَمُ هَلْ يَكُونُ حَكِيمًا أَوْ جَاهِلا؟ وَمَعَ ذَلِكَ يَسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ الأَشْيَاءِ الَّتِي تَعِبْتُ فِيهَا جِدًّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. وَهَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى.

٢٠فَتَحَوَّلْتُ وَاسْتَسْلَمْتُ لِلْيَأْسِ مِنْ كُلِّ التَّعَبِ الَّذِي عَانَيْتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. ٢١فَقَدْ يَتْعَبُ الإِنْسَانُ وَيَسْتَعْمِلُ الْحِكْمَةَ وَالْمَعْرِفَةَ وَالْمَهَارَةَ، ثُمَّ يَتْرُكُ الْكُلَّ لِوَاحِدٍ لَمْ يَتْعَبْ فِيهِ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى وَشَرٌّ عَظِيمٌ. ٢٢فَمَاذَا يَجْنِي الإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ وَجُهْدِهِ الَّذِي يَبْذِلُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟ ٢٣أَيَّامُهُ حُزْنٌ، وَعَمَلُهُ غَمٌّ. حَتَّى فِي اللَّيْلِ لا يَرْتَاحُ بَالُهُ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى.

٢٤لا مَقْدِرَةَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى التَّمَتُّعِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَثِمَارِ تَعَبِهِ. إِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُنْعِمُ عَلَيْهِ بِهَذَا. ٢٥وَبِدُونِهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْكُلَ وَيَتَمَتَّعَ؟ ٢٦يُعْطِي اللهُ لِمَنْ يُرْضِيهِ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً وَفَرَحًا، أَمَّا الشِّرِّيرُ فَيَشْغِلُهُ بِجَمْعِ الثَّرْوَةِ وَتَكْوِيمِهَا، لِيُعْطِيَهَا لِمَنْ يُرْضِي اللهَ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى وَكَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ.

الحياة ومللها

٣

١لِكُلِّ شَيْءٍ وَقْتٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَوَانٌ. ٢لِلْوِلادَةِ وَقْتٌ وَلِلْمَوْتِ وَقْتٌ. لِلْغَرْسِ وَقْتٌ وَلِقَلْعِ الْمَغْرُوسِ وَقْتٌ. ٣لِلْقَتْلِ وَقْتٌ وَلِلشِّفَاءِ وَقْتٌ. لِلْهَدْمِ وَقْتٌ وَلِلْبِنَاءِ وَقْتٌ. ٤لِلْبُكَاءِ وَقْتٌ وَلِلضِّحْكِ وَقْتٌ. لِلنَّوْحِ وَقْتٌ وَلِلرَّقْصِ وَقْتٌ. ٥لِبَعْثَرَةِ الْحِجَارَةِ وَقْتٌ وَلِجَمْعِ الْحِجَارَةِ وَقْتٌ. لِلْمُعَانَقَةِ وَقْتٌ وَلِلامْتِنَاعِ عَنِ الْمُعَانَقَةِ وَقْتٌ. ٦لِلتَّحْصِيلِ وَقْتٌ وَلِلإِضَاعَةِ وَقْتٌ. لِلْحِفْظِ وَقْتٌ وَلِلطَّرْحِ وَقْتٌ. ٧لِلتَّمْزِيقِ وَقْتٌ وَلِلْخِيَاطَةِ وَقْتٌ. لِلسُّكُوتِ وَقْتٌ وَلِلْكَلامِ وَقْتٌ. ٨لِلْحُبِّ وَقْتٌ وَلِلْكُرْهِ وَقْتٌ. لِلْحَرْبِ وَقْتٌ وَلِلسِّلْمِ وَقْتٌ. ٩فَمَاذَا يَسْتَفِيدُ الْعَامِلُ مِنْ تَعَبِهِ؟ ١٠رَأَيْتُ الْمَأْمُورِيَّةَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ لِبَنِي آدَمَ لِيَشْغِلَهُمْ بِهَا. ١١صَنَعَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ مُنَاسِبًا لِوَقْتِهِ، وَأَعْطَى النَّاسَ إِحْسَاسًا بِشَأْنِ الْخُلُودِ، وَمَعَ ذَلِكَ لا يَفْهَمُونَ أَعْمَالَهُ الَّتِي يَعْمَلُهَا مِنْ أَوَّلِ الزَّمَنِ إِلَى آخِرِهِ. ١٢وَعَرَفْتُ أَنَّهُ لا يُوجَدُ لَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَفْرَحُوا وَيَعْمَلُوا الْخَيْرَ فِي حَيَاتِهِمْ. ١٣إِنَّ نِعْمَةَ اللهِ عَلَى الإِنْسَانِ هِيَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيَتَمَتَّعَ بِثِمَارِ تَعَبِهِ. ١٤وَعَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللهُ يَدُومُ إِلَى الأَبَدِ، لا يَزِيدُ عَلَيْهِ شَيءٌ وَلا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ إِنَّمَا عَمِلَهُ لِيَخْشَعَ النَّاسُ أَمَامَهُ. ١٥مَا هُوَ كَائِنٌ الآنَ، مَوْجُودٌ مِنْ قَبْلُ. وَمَا سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، هُوَ الَّذِي كَانَ فِي الْمَاضِي. وَاللهُ يُعِيدُ مَا مَضَى.

١٦وَرَأَيْتُ شَيْئًا آخَرَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: الظُّلْمَ مَكَانَ الْعَدْلِ، وَالْخَطَأَ مَكَانَ الْحَقِّ. ١٧فَقُلْتُ فِي قَلْبِي: "اللهُ يُحَاسِبُ الصَّالِحَ وَالشِّرِّيــرَ، لأَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ وَلِكُلِّ عَمَلٍ وَقْتَهُ." ١٨وَقُلْتُ أَيْضًا فِي قَلْبِي: "بِالنِّسْبَةِ لِلنَّاسِ، فَإِنَّ اللهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُمْ كَالْبَهَائِمِ. ١٩فَمَصِيرُ الإِنْسَانِ كَمَصِيرِ الْبَهَائِمِ، هُوَ مَصِيرٌ وَاحِدٌ: كَمَا يَمُوتُ هَذَا، يَمُوتُ ذَلِكَ. وَالْكُلُّ لَهُمْ نَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ، فَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ امْتِيَازٌ عَلَى الْبَهَائِمِ. فَكُلُّ شَيْءٍ بِلا مَعْنَى. ٢٠يَذْهَبُ الْكُلُّ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَالْكُلُّ مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ. ٢١وَمَنْ يَعْرِفُ إِنْ كَانَتْ رُوحُ الإِنْسَانِ تَطْلَعُ إِلَى فَوْقُ، وَرُوحُ الْبَهِيمَةِ تَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلِ الأَرْضِ؟" ٢٢فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لا يُوجَدُ لِلإِنْسَانِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَفْرَحَ بِعَمَلِهِ، لأَنَّ هَذَا نَصِيبُهُ. وَمَنْ يُرْجِعُهُ لِيَرَى مَا يَجْرِي مِنْ بَعْدِهِ؟

الظلم في الدنيا

٤

١ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ كُلَّ الظُّلْمِ الَّذِي يَجْرِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: رَأَيْــتُ دُمُوعَ الْمَظْلُومِينَ وَلا مَنْ يُعَزِّيهِمْ. ظَالِمُوهُمْ يَبْطِشُونَ، أَمَّا هُمْ فَلا مَنْ يُعَزِّيهِمْ. ٢إِذَنْ هَنِيئًا لِلأَمْوَاتِ الَّذِينَ انْتَهُوا، فَهُمْ أَسْعَدُ حَالا مِنَ الأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ لِلآنَ. ٣وَأَحْسَنُ مِنَ الاثْنَيْنِ، مَنْ لَمْ يُولَدْ بَعْدُ، لأَنَّهُ لَمْ يَرَ الشَّرَّ الَّذِي يُرْتَكَبُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

٤وَرَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ التَّعَبِ وَكُلَّ مَا يَحْصُلُ عَلَيهِ الإِنْسَانُ، هُوَ نَاتِجٌ عَنِ الْمُنَافَسَةِ بَيْنَ شَخْصٍ وَآخَرَ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنًى وَكَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ. ٥الْكَسْلانُ يَطْوِي يَدَيْهِ وَيَخْرِبُ نَفْسَهُ. ٦حُفْنَةٌ وَاحِدَةٌ وَمَعَهَا رَاحَةٌ، خَيْرٌ مِنْ حُفْنَتَيْنِ وَمَعَهُمَا تَعَبٌ وَالْقَبْضُ عَلَى الرِّيحِ.

التعب بلا معنى

٧وَرَأَيْــتُ شَيْئًا آخَرَ بِلا مَعْنًى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: ٨إِنْسَانٌ وَحِيدٌ، لا ابْنٌ لَهُ وَلا أَخٌ، وَلا نِهَايَةٌ لِكُلِّ تَعَبِهِ، وَلا تَشْبَعُ عَيْنُهُ مِنَ الثَّرْوَةِ، وَلا يَقُولُ: "لِمَنْ أَتْعَبُ وَأَحْرِمُ نَفْسِي مِنَ الْمَسَرَّاتِ؟" هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنًى وَعَنَاءٌ وَشَقَاءٌ. ٩اِثْنَانِ أَحْسَنُ مِنْ وَاحِدٍ، لأَنَّ لَهُمَا جَزَاءً أَفْضَلَ عَلَى عَمَلِهِمَا مَعًا، ١٠وَإِنْ وَقَعَ أَحَدُهُمَا يُقِيمُهُ صَاحِبُهُ. مَسْكِينٌ مَنْ هُوَ وَحْدَهُ، لأَنَّهُ إِنْ وَقَعَ لا يُوجَدُ مَنْ يُقِيمُهُ. ١١أَيْضًا إِنْ رَقَدَ اثْنَانِ مَعًا يَدْفَآنِ، أَمَّا مَنْ هُوَ وَحْدَهُ، فَكَيْفَ يَدْفَأُ؟ ١٢وَإِنْ كَانَ شَخْصٌ يَغْلِبُ مَنْ هُوَ وَحْدَهُ، فَإِنَّ الاثْنَيْنِ يَقْدِرَانِ عَلَى الْمُقَاوَمَةِ، وَالْخَيْطُ الْمُثَلَّثُ لا يَنْقَطِعُ بِسُهُولَةٍ.

المركز بلا معنى

١٣شَابٌّ فَقِيرٌ حَكِيمٌ خَيْرٌ مِنْ مَلِكٍ شَيْخٍ جَاهِلٍ لا يَقْبَلُ النَّصِيحَةَ. ١٤حَتَّى وَإِنْ كَانَ الشَّابُّ قَدْ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ لِيُصْبِحَ مَلِكًا، أَوْ وُلِدَ فَقِيرًا فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ. ١٥رَأَيْتُ كُلَّ الأَحْيَاءِ السَّائِرِينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، يُنَاصِرُونَ الْمَلِكَ وَابْنَهُ الَّذِي يَحِلُّ مَكَانَهُ. ١٦رُبَّمَا يَحْكُمُ الْمَلِكُ شَعْبًا لا يُحْصَى، وَلَكِنْ وَلا وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَفْرَحُ بِهِ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنًى وَكَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ.

التظاهر بالدين

٥

١اِنْتَبِهْ إِلَى سُلُوكِكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللهِ. تَقَرَّبْ وَاسْمَعْ، فَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ تَقْدِيمِ قُرْبَانٍ مِنْ جَاهِلٍ لا يَعْرِفُ أَنَّهُ يَرْتَكِبُ الشَّرَّ. ٢لا تَتَسَرَّعْ فِي الْكَلامِ، وَلا تَتَعَجَّلْ فِي وُعُودِكَ للهِ، لأَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ عَلَى الأَرْضِ، فَلْتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً. ٣تَأْتِي الأَحْلامُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَتَاعِبِ، وَقَوْلُ الْجَهْلِ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلامِ. ٤حِينَ تَنْذِرُ للهِ فَلا تَتَأَخَّرْ

عَنِ الْوَفَاءِ، لأَنَّه لا يَرْضَى عَنِ الْجُهَّال. أَوْفِ نَذْرَكَ. ٥أَنْ لا تَنْذِرَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تَنْذِرَ وَلا تَفِيَ. ٦لا تَجْعَلْ فَمَكَ يَقُودُكَ لِلْخَطِيئَةِ، ثُمَّ تَقُولُ لِرَجُلِ الدِّينِ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَقْصِدُ أَنْ تَنْذِرَ. لِئَلا يَغْضَبَ اللهُ مِنْ كَلامِكَ، وَيُحَطِّمَ مَجْهُودَكَ. ٧الْوُعُودُ الْكَثِيرَةُ كَالأَحْلامِ الْكَثِيرَةِ، لا فَائِدَةٌ مِنْهَا، لِذَلِكَ اتَّقِ اللهَ.

الغنى بلا معنى

٨لا تَتَعَجَّبْ إِنْ رَأَيْتَ الْفَقِيرَ مَظْلُومًا وَمَحْرُومًا مِنَ الْعَدْلِ وَمِنْ حَقِّهِ، لأَنَّ فَوْقَ الْمَسْئُولِ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ يُرَاقِبُهُ، وَفَوْقَهُمَا مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمَا يُرَاقِبُهُمَا. ٩غَلَّةُ الأَرْضِ تَنْفَعُ الْكُلَّ، وَالْمَلِكُ يَسْتَفِيدُ مِنَ الْحُقُولِ. ١٠مَنْ يُحِبُّ الْفِضَّةَ لا يَشْبَعُ مِنَ الْفِضَّةِ، وَمَنْ يُحِبُّ الثَّرْوَةَ لا يَشْبَعُ مِنْ دَخْلٍ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى. ١١إِنْ كَثُرَتِ الْخَيْرَاتُ كَثُرَ مَنْ يَأْكُلُونَهَا، وَمَاذَا يَسْتَفِيدُ صَاحِبُهَا إِلا أَنْ يَرَاهَا بِعَيْنَيْهِ! ١٢نَوْمُ الْعَامِلِ يَحْلُو، سَوَاءٌ أَكَلَ قَلِيلا أَوْ كَثِيرًا. وَثَرْوَةُ الْغَنِيِّ تَجْعَلُهُ لا يَنَامُ.

١٣رَأَيْتُ شَرًّا فَظِيعًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: وَاحِدٌ يَجْمَعُ ثَرْوَةً فَتَنْقَلِبُ لِضَرَرِهِ. ١٤أَوْ تَضِيعُ ثَرْوَتُهُ بِسَبَبِ خَسَارَةٍ، فَلا يَبْقَى عِنْدَهُ شَيْءٌ يُورِثُهُ لابْنِهِ. ١٥يَخْرُجُ الإِنْسَانُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عُرْيَانًا، وَكَمَا جَاءَ يَرْجِعُ، لا يَأْخُذُ مِنْ تَعَبِهِ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فِي يَدِهِ. ١٦وَهَذَا أَيْضًا شَرٌّ فَظِيعٌ، أَنْ يَرْجِعَ كَمَا جَاءَ، فَمَاذَا اسْتَفَادَ؟ لا شَيْءَ! لأَنَّ تَعَبَهُ ضَاعَ هَبَاءً.

١٧وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، يَقْضِي كُلَّ أَيَّامِهِ فِي الْهَمِّ وَالْغَمِّ الشَّدِيدِ، وَفِي الضِّيقِ وَالْحِقْدِ.

١٨فَأَدْرَكْتُ أَنَّهُ مِنَ الأَحْسَنِ وَالأَفْضَلِ أَنْ يَأْكُلَ الإِنْسَانُ وَيَشْرَبَ وَيَتَمَتَّعَ بِثِمَارِ تَعَبِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي وَهَبَهَا اللهُ لَهُ، لأَنَّ هَذَا نَصِيبُهُ. ١٩إِنَّهَا عَطِيَّةٌ مِنَ اللهِ حِينَ يَرْزُقُنَا بِثَرْوَةٍ وَمَالٍ، وَيَجْعَلُنَا نَتَمَتَّعُ بِهَا وَنَرْضَى بِنَصِيبِنَا وَنَفْرَحُ بِثِمَارِ تَعَبِنَا، ٢٠وَلا نَنْشَغِلُ كَثِيرًا بِأَيَّامِنَا الَّتِي تَتَوَالَى، لأَنَّ اللهَ يَمْلأُ وَقْتَنَا بِفَرَحِ الْقَلْبِ.

مأساة نهاية الحياة

٦

١يُوجَدُ شَرٌّ رَأَيْتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُعَانِي مِنْهُ النَّاسُ: ٢وَاحِدٌ رَزَقَهُ اللهُ ثَرْوَةً وَمَالا وَكَرَامَةً، فَلا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ يَرْغَبُ فِيهِ، وَلَكِنَّ اللهَ لا يَمْنَحُهُ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّمَتُّعِ بِهَا، بَلْ يَتَمَتَّعُ بِهَا غَرِيبٌ. هَذَا بِلا مَعْنَى، وَشَقَاءٌ وَمَأْسَاةٌ.

٣إِنْ أَنْجَبَ وَاحِدٌ مِئَةً، وَعَاشَ سِنِينَ كَثِيرَةً، وَطَالَ عُمْرُهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَتَّعْ بِالْخَيْرِ، وَلَمْ يُدْفَنْ كَمَا يَجِبُ، أَقُولُ إِنَّ الْجَنِينَ الْمَيِّتَ خَيْرٌ مِنْهُ. ٤فَإِنَّ الْجَنِينَ الْمَيِّتَ يَأْتِي بِلا مَعْنَى، وَيَذْهَبُ إِلَى الظَّلامِ ، وَفِي الظَّلامِ يَخْتَفِي اِسْمُهُ.

٥لا يَرَى الشَّمْسَ، وَلا يَعْرِفُ شَيْئًا، لَكِنَّهُ يَرْتَاحُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ. ٦حَتَّى وَإِنْ عَاشَ هَذَا الرَّجُلُ أَلْفَيِّ سَنَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَتَّعْ بِالْخَيْرِ، فَهُوَ وَالْجَنِينُ الْمَيِّتُ يَذْهَبَانِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. ٧كُلُّ مَا يَتْعَبُ فِيهِ الإِنْسَانُ يَذْهَبُ إِلَى فَمِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لا تَشْبَعُ بَطْنُهُ. ٨فَمَاذَا عِنْدَ الْحَكِيمِ أَكْثَرُ مِنَ الْجَاهِلِ؟ وَمَاذَا عِنْدَ الْفَقِيرِ الَّذِي يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِي الْحَيَاةِ؟

٩مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ خَيْرٌ مِمَّا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى وَكَأَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الرِّيحِ. ١٠كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ اسْمٌ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَالإِنْسَانُ مَعْرُوفٌ مَا هُوَ، وَلا يَقْدِرُ أَنْ يَغْلِبَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ. ١١كَثْرَةُ الْكَلامِ تُضَيِّعُ الْمَعْنَى فَمَا فَائِدَتُهُ لِلإِنْسَانِ؟ ١٢مَنْ يَعْرِفُ مَا هُوَ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي تَمُرُّ أَيَّامًا قَلِيلَةً بِلا مَعْنَى كَالظِّلِّ؟ وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُخْبِرَ الإِنْسَانَ بِمَا سَيَحْدُثُ مِنْ بَعْدِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟

تفكير الشخص العاقل

٧

١السُّمْعَةُ الطَّيِّبَةُ أَحْسَنُ مِنَ الْعِطْرِ الْجَيِّدِ، وَيَوْمُ الْوَفَاةِ أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِ الْوِلادَةِ. ٢الذَّهَابُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ بُكَاءٌ أَحْسَنُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ وَلِيمَةٌ. لأَنَّ الْمَوْتَ هُوَ مَصِيرُ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَعَلَى الْحَيِّ أَنْ يَتَأَمَّلَ هَذَا فِي قَلْبِهِ. ٣الْحُزْنُ أَحْسَنُ مِنَ الضِّحْكِ، لأَنَّ الْوَجْهَ الْكَئِيبَ يَنْفَعُ الْقَلْبَ. ٤قَلْبُ الْحُكَمَاءِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ بُكَاءٌ، وَقَلْبُ الْجُهَّالِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ مَرَحٌ. ٥سَمَاعُ التَّوْبِيخِ مِنَ الْحَكِيمِ، أَحْسَنُ مِنْ سَمَاعِ غِنَاءِ الْجُهَّالِ. ٦لأَنَّ ضِحْكَ الْجُهَّالِ كَصَوْتِ الشَّوْكِ يَحْتَرِقُ تَحْتَ الْقِدْرِ، هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى. ٧الظُّلْمُ يَجْعَلُ الْحَكِيمَ جَاهِلا، وَالرَّشْوَةُ تُفْسِدُ الْقَلْبَ.

٨نِهَايَةُ الأَمْرِ أَحْسَنُ مِنْ بِدَايَتِهِ. طُولُ الْبَالِ أَحْسَنُ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ. ٩لا تُسْرِعْ إِلَى الْغَضَبِ، لأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي صُدُورِ الْجُهَّالِ. ١٠لا تَقُلْ: "لِمَاذَا كَانَتْ أَيَّامُ زَمَانٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ؟" لأَنَّ هَذَا السُّؤَالَ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْحِكْمَةِ. ١١الْحِكْمَةُ صَالِحَةٌ كَالْمِيرَاثِ، وَتَنْفَعُ مَنْ يَرَوْنَ الشَّمْسَ. ١٢الْحِكْمَةُ مَأْوَى، كَمَا أَنَّ الْمَالَ مَأْوَى، وَمِيزَةُ الْمَعْرِفَةِ هِيَ أَنَّ الْحِكْمَةَ تُعْطِي صَاحِبَهَا حَيَاةً. ١٣تَأَمَّلْ مَا عَمِلَهُ اللهُ، مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُقَوِّمَ مَا عَوَّجَهُ؟ ١٤فِي يَوْمِ الْخَيْرِ كُنْ بِخَيْرٍ، وَفِي يَوْمِ الشَّرِّ اتَّعِظْ. إِنَّ اللهَ خَلَقَ هَذَا وَذَاكَ لِكَيْ لا يَكْتَشِفَ الإِنْسَانُ مَا يَأْتِي بَعْدَهُ.

١٥كُلُّ هَذَا رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي الَّتِي بِلا مَعْنَى: صَالِحٌ يَهْلِكُ فِي صَلاحِهِ، وَشِرِّيرٌ يَطُولُ عُمْرُهُ فِي شَرِّهِ. ١٦لا تَكُنْ صَالِحًا أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ، وَلا تَكُنْ حَكِيمًا أَكْثَرَ مِنَ اللازِمِ. لِمَاذَا تَخْرِبُ نَفْسَكَ؟ ١٧لا تَكُنْ شِرِّيرًا أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ، وَلا تَكُنْ جَاهِلا. لِمَاذَا تَمُوتُ قَبْلَ وَقْتِكَ؟ ١٨حَسَنٌ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِوَاحِدٍ، وَلا تَتْرُكَ الآخَرَ، لأَنَّ مَنْ يَخَافَ اللهَ يَنْجَحُ فِي كِلَيْهِمَا.

١٩الْحِكْمَةُ تَجْعَلُ الْحَكِيمَ أَقْوَى مِنْ عَشَرَةِ حُكَّامٍ فِي الْمَدِينَةِ. ٢٠لا يُوجَدُ صَالِحٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَلا يُخْطِئُ أَبَدًا. ٢١لا تَهْتَمَّ بِكُلِّ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا النَّاسُ، لِئَلا تَسْمَعَ عَبْدَكَ يَشْتِمُكَ. ٢٢لأَنَّكَ تَعْلَمُ جَيِّدًا، أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا مِرَارًا كَثِيرَةً شَتَمْتَ غَيْرَكَ.

٢٣كُلُّ هَذَا امْتَحَنْتُهُ بِالْحِكْمَةِ وَقُلْتُ: "أَكُونُ حَكِيمًا!" فَإِذَا الْحِكْمَةُ بَعِيدَةٌ عَنِّي. ٢٤هِيَ بَعِيدَةٌ جِدًّا وَعَمِيقَةٌ جِدًّا، فَمَنْ يَجِدُهَا؟ ٢٥وَأَخَذْتُ أُفَكِّرُ فِي الْعِلْمِ وَالدَّرْسِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْحِكْمَةِ وَعَنْ حَقِيقَةِ الأُمُورِ، وَفِي مَعْرِفَةِ أَنَّ الشَّرَّ غَبَاءٌ وَأَنَّ الْجَهْلَ جُنُونٌ. ٢٦فَوَجَدْتُ أَنَّ أَمَرَّ مِنَ الْمَوْتِ، الْمَرْأَةُ الَّتِي هِيَ فَخٌّ وَقَلْبُهَا مَصْيَدَةٌ وَيَدَاهَا قُيُودٌ. مَنْ يُرْضِي اللهَ يَنْجُو مِنْهَا، وَالشِّرِّيرُ يَقَعُ فِي فَخِّهَا. ٢٧وَيَقُولُ الْحَكِيمُ: "وَجَدْتُ هَذَا، بَعْدَ مَا تَأَمَّلْتُ الأُمُورَ مَعَ بَعْضِهَا لأَفْهَمَ

مَعْنَاهَا، ٢٨وَبَعْدَ مَا بَحَثْتُ مِنْ غَيْرِ نَتِيجَةٍ: بَيْنَ كُلِّ أَلْفِ رَجُلٍ يُوجَدُ وَاحِدٌ صَالِحٌ، وَبَيْنَ كُلِّ النِّسَاءِ وَلا وَاحِدَةٌ صَالِحَةٌ! ٢٩إِنَّمَا وَجَدْتُ أَنَّ اللهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ تَقِيًّا، وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ يَبْحَثُ عَنِ اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ.

أطيعوا السلطات

٨

١مَنْ كالْحَكِيمِ؟ وَمَنْ يَعْرِفُ تَفْسِيرَ الأُمُورِ؟ الْحِكْمَةُ تُنِيرُ وَجْهَ الإِنْسَانِ وَتُلَيِّنُ مَظْهَرَهُ الْقَاسِي. ٢أَقُولُ: أَطِعْ أَوَامِرَ الْمَلِكِ، لأَنَّكَ حَلَفْتَ يَمِينًا للهِ. ٣لا تُسْرِعْ فِي الذَّهَابِ مِنْ مَحْضَرِهِ، وَلا تُدَافِعْ عَنْ مَوْضُوعٍ رَدِيءٍ، لأَنَّهُ يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ. ٤كَلِمَةُ الْمَلِكِ لَهَا سُلْطَانٌ، فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: "مَاذَا تَفْعَلُ؟"
٥مَنْ يُطِيعُ وَصَايَا الْمَلِكِ لا يُصِيبُهُ أَذًى. الْقَلْبُ الْحَكِيمُ يَعْرِفُ الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ وَالطَّرِيقَةَ الْمُنَاسِبَةَ. ٦لأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ يُوجَدُ وَقْتٌ مُنَاسِبٌ وَطَرِيقَةٌ مُنَاسِبَةٌ. لَكِنَّ شَقَاءَ الإِنْسَانِ ثَقِيلٌ عَلَيْهِ، ٧لأَنَّهُ لا يَعْلَمُ الْمُسْتَقْبَلَ، وَلا أَحَدٌ يُخْبِرُهُ عَنْهُ. ٨لا أَحَدٌ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الرُّوحِ لِيَمْنَعَهَا مِنْ مُفَارَقَةِ الْجَسَدِ، وَلا سُلْطَانٌ عَلَى يَوْمِ الْمَوْتِ. وَكَمَا لا يُسَرَّحُ أَحَدٌ فِي وَقْتِ الْحَرْبِ، كَذَلِكَ لا يُطْلِقُ الشَّرُّ سَرَاحَ الأَشْرَارِ.

الصالح والشرير

٩رَأَيْتُ كُلَّ هَذَا لَمَّا رَكَّزْتُ تَفْكِيرِي عَلَى كُلِّ مَا يُعْمَلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، عِنْدَمَا يَتَسَلَّطُ إِنْسَانٌ عَلَى إِنْسَانٍ وَيُؤْذِيهِ.
١٠رَأَيْتُ الأَشْرَارَ يُدْفَنُونَ، وَالنَّاسُ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِمْ مِنَ الْمَقَابِرِ يَمْدَحُونَهُمْ وَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمَدِينَةِ الَّتِي ارْتَكَبُوا فِيهَا الشَّرَّ. هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى. ١١إِنْ كَانَ الأَشْرَارُ لا يُعَاقَبُونَ فِي الْحَالِ، فَهَذَا يُشَجِّعُ الآخَرِينَ عَلَى ارْتِكَابِ الشَّرِّ. ١٢الْخَاطِئُ يَرْتَكِبُ الشَّرَّ مِئَةَ مَرَّةٍ وَيَطُولُ عُمْرُهُ، لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ وَيَخْشَعُونَ فِي مَحْضَرِهِ، يَنَالُونَ خَيْرًا. ١٣الشِّرِّيرُ لا يَنَالُ خَيْرًا وَلا تَطُولُ أَيَّامُهُ، بَلْ تَمْضِي كَالظِّلِّ، لأَنَّه لا يَتَّقِي اللهَ.
١٤يُوجَدُ أَمْرٌ آخَرُ بلا مَعْنَى يَجْرِي عَلَى الأَرْضِ: صَالِحُونَ يَنَالُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ الأَشْرَارُ، وَأَشْرَارٌ يَنَالُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ الصَّالِحُونَ. فَأَقُولُ إِنَّ هَذَا أَيْضًا بِلا مَعْنَى. ١٥لِذَلِكَ أُوصِي بِأَنْ يَتَمَتَّعَ الْوَاحِدُ بِالْحَيَاةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ خَيْرٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلا أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيَفْرَحَ. فَهَذَا مَا يَبْقَى لَهُ مِنْ تَعَبِهِ طُولَ حَيَاتِهِ الَّتِي وَهَبَهَا اللهُ لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.
١٦لَمَّا رَكَّزْتُ تَفْكِيرِي لأَعْرِفَ الْحِكْمَةَ، وَأَتَأَمَّلَ فِي تَعَبِ الإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ، وَكَيْفَ لا يَرَى النَّوْمَ بِعَيْنَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلا، ١٧رَأَيْتُ أَعْمَالَ اللهِ كُلَّهَا، وَلا أَحَدٌ يَفْهَمُ مَا يَجْرِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. وَمَهْمَا تَعِبَ الإِنْسَانُ فِي بَحْثِهِ لِمَعْرِفَتِهَا فَلَنْ يُدْرِكَهَا. حَتَّى إِنْ قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّهُ يَعْرِفُهَا، فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهَا.

مصير واحد للكل

٩

١هَذَا كُلُّهُ تَأَمَّلْتُهُ فِي قَلْبِي، وَفَهِمْتُ أَنَّ الصَّالِحِينَ وَالْحُكَمَاءَ وَأَعْمَالَهُمْ فِي يَدِ اللهِ، وَالإِنْسَانَ لا يَعْلَمُ مَاذَا يَنْتَظِرُهُ هَلْ حُبٌّ أَمْ كَرَاهِيَةٌ. ٢الْكُلُّ لَهُمْ مَصِيرٌ وَاحِدٌ، لِلصَّالِحِ وَالشِّرِّيرِ، لِلطَّيِّبِ وَالرَّدِيءِ، لِلطَّاهِرِ وَالنَّجِسِ، لِمَنْ يُقَدِّمُ قُرْبَانًا وَمَنْ لا يُقَدِّمُ. فَالطَّيِّبُ كَالْخَاطِئِ، وَمَنْ يَحْلِفُ كَمَنْ يَخَافُ أَنْ يَحْلِفَ. ٣إِنَّ أَكْبَرَ مَأْسَاةٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، هِيَ أَنَّ الْكُلَّ يُلاقُونَ نَفْسَ الْمَصِيرِ، وَأَنَّ قَلْبَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ بِالشَّرِّ، وَأَنَّ الْجُنُونَ كَامِنٌ فِي الْقَلْبِ طُولَ الْحَيَاةِ، وَأَنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَمُوتُونَ! ٤مَنْ لا يَزَالُ حَيًّا لَهُ رَجَاءٌ، فَالْكَلْبُ الْحَيُّ أَحْسَنُ مِنْ الأَسَدِ الْمَيِّتِ. ٥وَالأَحْيَاءُ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ، أَمَّا الأَمْوَاتُ فَلا يَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلا أَجْرَ لَهُمْ هُنَا، بَلْ حَتَّى ذِكْرَهُمْ نُسِيَ. ٦وَانْتَهَتْ مَحَبَّتُهُمْ وَكَرَاهِيَتُهُمْ وَغِيرَتُهُمْ، وَلا نَصِيبَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَجْرِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

٧فَاذْهَبْ كُلْ خُبْزَكَ بِفَرَحٍ وَاشْرَبْ خَمْرَكَ بِقَلْبٍ مَسْرُورٍ، لأَنَّ اللهَ رَضِيَ عَنْ أَعْمَالِكَ. ٨لِتَكُنْ ثِيَابُكَ بَيْضَاءَ دَائِمًا، وَلا يُعْوِزُ رَأْسَكَ الْعِطْرُ. ٩تَمَتَّعْ بِالْحَيَاةِ مَعَ زَوْجَتِكَ الَّتِي تُحِبُّهَا، كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ الَّتِي بِلا مَعْنَى وَالَّتِي أَعْطَاهَا لَكَ اللهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، لأَنَّ هَذَا نَصِيبُكَ مِنَ الْحَيَاةِ، وَمِنْ تَعَبِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. ١٠كُلُّ مَا تَقُومُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ اِعْمَلْهُ بِكُلِّ قُوَّتِكَ، لأَنَّ الْقَبْرَ الَّذِي أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِ لا يُوجَدُ فِيهِ عَمَلٌ وَلا تَخْطِيطٌ وَلا مَعْرِفَةٌ وَلا حِكْمَةٌ.

النجاح غير مضمون

١١وَرَأَيْتُ أَمْرًا آخَرَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهُوَ أَنَّ الْفَوْزَ فِي السِّبَاقِ لَيْسَ لِلسَّرِيعِ، وَلا النَّصْرَ فِي الْحَرْبِ لِلْقَوِيِّ، وَلا الْخُبْزَ لِلْحُكَمَاءِ، وَلا الْغِنَى لِلْفُهَمَاءِ، وَلا التَّنَعُّمَ لِلْعُلَمَاءِ، لأَنَّهُمْ جَمِيعًا تَحْتَ رَحْمَةِ الظُّرُوفِ وَالْقَدَرِ. ١٢وَالإِنْسَانُ لا يَعْرِفُ مَتَى تَحِينُ سَاعَتُهُ، بَلْ كَمَا تُصَادُ الأَسْمَاكُ بِشَبَكَةٍ مُهْلِكَةٍ، وَكَمَا تَقَعُ الْعَصَافِيرُ فِي الْفَخِّ، كَذَلِكَ تَقْتَنِصُهُ الْمَصَائِبُ فَجْأَةً فِي زَمَنِ الشَّرِّ.

١٣وَرَأَيْتُ أَيْضًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، مَثَلا آخَرَ لِلْحِكْمَةِ أَعْجَبَنِي جِدًّا: ١٤مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، جَاءَ عَلَيْهَا مَلِكٌ قَوِيٌّ وَحَاصَرَهَا، وَبَنَى حَوْلَهَا أَبْرَاجًا عَظِيمَةً. ١٥وَكَانَ فِيهَا رَجُلٌ مِسْكِينٌ حَكِيمٌ، فَأَنْقَذَ الْمَدِينَةَ بِحِكْمَتِهِ. لَكِنْ لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمِسْكِينَ. ١٦فَقُلْتُ: "الْحِكْمَةُ أَحْسَنُ مِنَ الْقُوَّةِ." لَكِنَّ حِكْمَةَ الْمِسْكِينِ مُحْتَقَرَةٌ، وَكَلامَهُ غَيْرُ مَسْمُوعٍ. ١٧كَلامُ الْحُكَمَاءِ الْهَادِئِ مَسْمُوعٌ أَكْثَرَ مِنْ صُرَاخِ الْحَاكِمِ بَيْنَ الْجُهَّالِ.

١٨الْحِكْمَةُ أَحْسَنُ مِنْ أَسْلِحَةِ الْحَرْبِ، وَخَاطِئٌ وَاحِدٌ يُفْسِدُ خَيْرًا كَثِيرًا.

كن عاقلا

١٠

١الذُّبَابُ الْمَيِّتُ يُنَتِّنُ طِيبَ الْعَطَّارِ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْغَبَاءِ أَثْقَلُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ. ٢قَلْبُ الْحَكِيمِ يُوَجِّهُهُ لِلطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَقَلْبُ الْجَاهِلِ لِلطَّرِيقِ الأَعْوَجِ. ٣حِينَ يَمْشِي الْجَاهِلُ فِي الطَّرِيقِ، يَتَّضِحُ أَنَّهُ عَدِيمُ الْفَهْمِ، وَيُبَيِّنُ لِلْكُلِّ أَنَّهُ غَبِيٌّ.

٤إِنْ هَاجَ ضِدَّكَ غَضَبُ الْحَاكِمِ، لا تَتْرُكْ مَكَانَكَ، لأَنَّ الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ أَخْطَاءً فَظِيعَةً. ٥رَأَيْتُ شَرًّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، هُوَ خَطَأٌ مَسْئُولٌ عَنْهُ الْحَاكِمُ، ٦وَهُوَ أَنَّهُ يَرْفَعُ الْجُهَّالَ إِلَى مَرَاكِزَ عَالِيَةٍ جِدًّا، وَيَضَعُ الأَغْنِيَاءَ فِي مَرَاكِزَ دَنِيئَةٍ.

٧فَرَأَيْتُ عَبِيدًا عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ، وَأُمَرَاءَ مَاشِينَ عَلَى الأَرْضِ كَالْعَبِيدِ. ٨مَنْ يَحْفُرُ حُفْرَةً يَسْقُطُ فِيهَا، وَمَنْ يَنْقُضُ جِدَارًا تَلْدَغُهُ حَيَّةٌ. ٩مَنْ يَقْلَعُ حِجَارَةً يُوجَعُ بِهَا، وَمَنْ يَقْطَعُ الأَشْجَارَ يَكُونُ فِي خَطَرٍ مِنْهَا. ١٠الْفَأْسُ الَّتِي كَلَّتْ وَلَمْ تُسَنَّ، تَحْتَاجُ إِلَى مَجْهُودٍ أَكْثَرَ فِي اسْتِعْمَالِهَا، أَمَّا الْحِكْمَةُ فَتُسَاعِدُ عَلَى النَّجَاحِ. ١١لا فَائِدَةٌ مِنْ تَرْوِيضِ الْحَيَّةِ بَعْدَمَا تَلْدَغُكَ!

١٢كَلامُ الْحَكِيمِ يَجْلِبُ لَهُ الْمَدِيحَ، وَكَلامُ الْجَاهِلِ يُسَبِّبُ لَه الْخَرَابَ. ١٣الْجَاهِلِ أَوَّلُ كَلامِهِ جَهْلٌ، وَآخِرُهُ جُنُونٌ وَشَرٌّ. ١٤الْجَاهِلُ كَثِيرُ الْكَلامِ. لا أَحَدَ يَعْلَمُ الْمُسْتَقْبَلَ، لا أَحَدَ يَقْدِرُ أَنْ يُخْبِرَنَا بِمَا يَحْدُثُ بَعْدَ الْمَوْتِ. ١٥الْعَمَلُ يُتْعِبُ الْجَاهِلَ، لأَنَّهُ لا يَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

١٦الْوَيْلُ لَكِ أَيَّتُهَا الْبِلادُ إِنْ كَانَ مَلِكُكِ وَلَدًا، وَرُؤَسَاؤُكِ يَأْكُلُونَ حَتَّى الصَّبَاحِ. ١٧هَنِيئًا لَكِ أَيَّتُهَا الْبِلادُ إِنْ كَانَ مَلِكُكِ مِنْ أَصْلٍ شَرِيفٍ، وَرُؤَسَاؤُكِ يَأْكُلُونَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، وَذَلِكَ لِلْقُوَّةِ لا لِلْمُجُونِ.

١٨بِسَبَبِ الْكَسَلِ يَهْبِطُ السَّقْفُ، وَبِسَبَبِ الإِهْمَالِ يَتَسَرَّبُ الْمَاءُ إِلَى الدَّارِ. ١٩الأَكْلُ فِي وَلِيمَةٍ يُفَرِّحُ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ يُفَرِّجُ عَنِ النَّفْسِ، أَمَّا الْمَالُ فَيَشْتَرِي كُلَّ شَيْءٍ. ٢٠لا تَلْعَنِ الْمَلِكَ حَتَّى فِي فِكْرِكَ، وَلا الْغَنِيَّ حَتَّى فِي غُرْفَةِ نَوْمِكَ. لانَّ طَيْرَ السَّمَاءِ يَنْقُلُ كَلامَكَ، وَمَا لَهُ جَنَاحٌ يُخْبِرُ بِمَا قُلْتَ.

الحياة الطيبة

١١

١أَرْسِلْ مَعْرُوفَكَ عَبْرَ الْبِحَارِ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَرْجِعُ إِلَيْكَ بِفَائِدَةٍ. ٢وَزِّعْ أَمْوَالَكَ عَلَى سَبْعَةٍ مَشْرُوعَاتٍ أَوْ ثَمَانِيَةٍ، لأَنَّكَ لا تَعْلَمُ أَيَّ خَطَرٍ يَحِلُّ بِالْبِلادِ. ٣إِذَا امْتَلأَتِ السُّحُبُ بِالْمَطَرِ، تَصُبُّهُ عَلَى الأَرْضِ. وَإِذَا وَقَعَتِ الْشَّجَرَةُ جِهَةَ الْجَنُوبِ أَوْ جِهَةَ الشَّمَالِ، تَبْقَى فِي الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ.

٤مَنْ يَنْتَظِرُ الرِّيحَ لا يَزْرَعُ، وَمَنْ يُرَاقِبُ السُّحُبَ لا يَحْصُدُ. ٥كَمَا أَنَّكَ لا تَعْرِفُ مَسَارَ الرِّيحِ، وَلا كَيْفَ يَتَكَوَّنُ الطِّفْلُ بِجِسْمِهِ وَرُوحِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، كَذَلِكَ لا تَعْرِفُ أَعْمَالَ اللهِ صَانِعِ كُلِّ شَيْءٍ. ٦اِزْرَعْ زَرْعَكَ فِي الصَّبَاحِ،

وَلا تَتَكَاسَلْ يَدُكَ عَنِ الْعَمَلِ إِلَى الْمَسَاءِ. لأَنَّكَ لا تَعْلَمُ أَيُّهُمَا يَنْمُو، الْمَزْرُوعُ فِي الصَّبَاحِ أَمْ فِي الْمَسَاءِ أَمْ كِلاهُمَا يَنْمُوَانِ جَيِّدًا.

٧النُّورُ حُلْوٌ، وَرُؤْيَةُ الشَّمْسِ تَسُرُّ الْعَيْنِ. ٨مَهْمَا عَاشَ الإِنْسَانُ مِنْ سِنِينَ كَثِيرَةٍ، فَلْيَفْرَحْ فِيهَا كُلِّهَا، وَلْيَتَذَكَّرْ أَنَّ أَيَّامَ الظَّلامِ سَتَكُونُ كَثِيرَةً، فَإِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ كُلَّهُ بِلا مَعْنَى. ٩اِفْرَحْ أَيُّهَا الشَّابُّ فِي حَدَاثَتِكَ، وَمَتِّعْ نَفْسَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، اِتْبَعْ مَا يَرْغَبُهُ قَلْبُكَ، وَمَا تَشْتَهِيهِ عَيْنَاكَ. وَلَكِنِ اعْلَمْ أَنّ اللهَ سَيُحَاسِبُكَ عَلَى كُلِّ هَذَا. ١٠اِنْزَعِ الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ، وَابْعِدِ الشَّرَّ عَنْ جِسْمِكَ، لأَنَّ الشَّبَابَ وَالْقُوَّةَ بِلا مَعْنَى.

اتق الله

١٢

١اُذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَامِ شَبَابِكَ، قَبْلَ مَا تَأْتِي الأَيَّامُ الْكَئِيبَةُ وَتَجِيءُ السِّنِينُ الَّتِي لَا تَجِدُ فِيهَا لَذَّةً فِي الْحَيَاةِ. ٢وَقَبْلَ مَا تُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالنُّورُ، وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَتَرْجِعُ السُّحُبُ بَعْدَ الْمَطَرِ. ٣حِينَ يَرْتَعِشُ حُرَّاسُ الدَّارِ، وَيَنْحَنِي الرِّجَالُ الأَشِدَّاءُ، وَتَبْطُلُ الطَّوَاحِينُ لأَنَّهَا قَلَّتْ، وَالَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنَ النَّوَافِذِ لا يَرَوْنَ. ٤وَتُغْلَقُ الأَبْوَابُ الْمُطِلَّةُ عَلَى الشَّارِعِ، وَيَنْخَفِضُ صَوْتُ الطَّاحُونَةِ، وَيَقُومُ الْوَاحِدُ عَلَى صَوْتِ الْعُصْفُورِ، وَتَسْكُتُ الطُّيُورُ الْمُغَرِّدَةُ. ٥وَيَخَافُ الْوَاحِدُ مِنَ الْعُلُوِّ، وَمِنْ أَخْطَارِ الطَّرِيقِ، وَيُزْهِرُ شَجَرُ اللَّوْزِ، وَيَزْحَفُ الْجَرَادُ، وَتَنْتَهِي الشَّهْوَةُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِهِ الأَبَدِيِّ، وَالنَّادِبُونَ مُوجُودُونَ فِي الشَّارِعِ. ٦قَبْلَ مَا يَنْقَطِعُ حَبْلُ الْفِضَّةِ، وَيَنْكَسِرُ كُوبُ الذَّهَبِ، وَتَـتَحَطَّمُ الْجَرَّةُ عَلَى الْعَيْنِ، وَتَنْقَصِفُ الْبَكْرَةُ عِنْدَ الْبِئْرِ. ٧فَيَرْجِعُ التُّرَابُ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا، وَتَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى اللهِ الَّذِي أَعْطَاهَا. ٨يَقُولُ الْحَكِيمُ: "الْكُلُّ بِلا مَعْنَى أَبَدًا! الْكُلُّ بِلا مَعْنَى!"

ختام

٩وَبِالإِضَافَةِ إِلَى حِكْمَةِ هَذَا الْحَكِيمِ، فَإِنَّهُ عَلَّمَ الشَّعْبَ الْمَعْرِفَةَ، وَتَأَمَّلَ وَبَحَثَ وَوَضَعَ أَمْثَالا كَثِيرَةً. ١٠وَسَعَى الْحَكِيمُ لِيَجِدَ تَعْبِيرَاتٍ مُبْهِجَةٍ، لِيَقُولَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتٍ مُنَاسِبَةٍ. ١١أَقْوَالُ الْحُكَمَاءِ كَمِنْخَاسٍ يُوَجِّهُ الْقَطِيعَ، وَكَمِسْمَارٍ يَنْغَرِزُ فَيَثْبُتُ. كُلُّهَا إِرْشَادَاتٌ حَكِيمَةٌ تَأْتِي مِنْ رَاعٍ وَاحِدٍ. ١٢لِذَلِكَ اِحْذَرْ يَا ابْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُخَالِفُ هَذَا، فَإِنَّ النَّاسَ لا يَتَوَقَّفُونَ عَنْ تَأْلِيفِ الْكُتُبِ، وَكَثْرَةُ الدِّرَاسَةِ تُتْعِبُكَ.

١٣وَالآنَ لِنَسْمَعَ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اِتَّقِ اللهَ وَاعْمَلْ بِوَصَايَاهُ، فَهَذَا فَرْضٌ عَلَى كُلِّ النَّاسِ. ١٤لأَنَّ اللهَ سَيُحَاسِبُنَا عَلَى كُلِّ عَمَلِنَا مَهْمَا كَانَ خَفِيًّا، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.